KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

الجهد البياني في تفسير زاد المسير– الجزء الثلاثون اختيارا

أ.د. عقيل جاسم دهش

مركز دراسات الكوفة/ جامعة الكوفة

الملخص:

يهدف البحث الى الكشف عن الجهد البياني للشيخ الإمام الحافظ المحدث والمؤرخ والمفسر أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (ت٥٩٧هـ) في تفسيره "زاد المعاد في التفسير"، وتتمثل عينة البحث في الجزء الثلاثين من القرآن الكريم.

ويتبنى البحث المنهج التحليلي الذي يقوم على تحليل النصوص والمقارنة بين آراء المفسرين والوقوف على آراء ابن الجوزي وجهوده البيانية في تفسيره للنصوص عينة البحث.

وتوصل البحث الى نتائج عديدة أبرزها أن منهج المؤلف في تفسيره كان منهجا تقليديا موافقا لمنهج من سبقه وعاصره من علماء التفسير في الإشارة الى أسباب النزول وإيراد القراءات القرآنية وعرض المسائل النحوية واللغوية ونقل الآراء التفسيرية للعلماء والمفسرين السابقين والمعاصرين، وقد يتبع ذلك بما يراه هو أو يميل إليه أو يرجحه على غيره من الآراء.

الكلمات المفتاحية: الجهد البياني، تفسير زاد المسير، ابن الجوزي، منهجية التفسير.

Abstract:

The research aims to reveal the graphic effort of Sheikh Imam Al-Hafiz, the hadith scholar, historian and interpreter Abu Al-Faraj Abdul Rahman bin Al-Jawzi (d. 597 AH) in his interpretation of "Zad Al-Ma'ad fi Al-Tafsir", and the research sample is the thirtieth part of the Holy Qur'an.

The research adopts the analytical approach, which is based on analyzing texts, comparing the opinions of commentators, and examining the opinions of Ibn al-Jawzi and his illustrative efforts in his interpretation of the texts sampled in the research.

Keywords: Graphic Effort, Tafsir Zad al-Masir, Ibn al-Jawzi, Interpretation Methodology.

المقدمة:

يهدف البحث الى الكشف عن الجهد البياني للشيخ الإمام الحافظ المحدث والمؤرخ والمفسر أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (ت٥٩٧هـ) في تفسيره "زاد المعاد في التفسير"، وتتمثل عينة البحث في الجزء الثلاثين من القرآن الكريم، ويقسم البحث على مبحثين، يتناول الأول أسلوب التشبيه، ويتم فيه استخراج الصور التشبيهية وتحليلها وبيان وظيفة التشبيه في تشكيل المعنى المقصود، في حين يتناول المبحث الثاني أسلوب

الاستعارة، ويتم فيه استخراج الصور الاستعارية وتحليلها وبيان العلاقات بين طرفي الاستعارة المستعار له والمستعار منه والأنماط الاستعارية التي استعملها القرآن الكريم للتعبير عن المعاني في هذه النصوص عينة البحث.

ويتبنى البحث المنهج التحليلي الذي يقوم على تحليل النصوص والمقارنة بين آراء المفسرين والوقوف على آراء ابن الجوزي وجهوده البيانية في تفسيره للنصوص عينة البحث.

-منهج المؤلف في تفسيره "زاد المسير":

يتلخص منهج المؤلف في تفسيره بما يأتي:

١-يشير أحيانا الى سبب أو أسباب نزول السورة وفيمن نزلت وإجماع العلماء أو اختلافهم في تصنيفها من حيث المكي والمدني، ولم يلتزم بذلك في جميع سور القرآن، والسور التي بحث في سبب أو أسباب نزولها هي (النساء والتوبة ويوسف وطه والحج والعنكبوت والروم والأحزاب والأحقاف والفتح والحجرات والواقعة والمجادلة والممتحنة والصف والتحريم والمعارج والجن والمدثر والنبأ وعبس والمطففين والماعون والكافرون والمسد والإخلاص والفلق)، ويستهل ذلك بعبارة (فصل في نزولها) أو (ذكر سبب نزولها) أو (وسبب نزولها) أو (أما سبب نزولها) أو (ذكر أهل التفسير في نزولها) أو (قال المفسرون نزلت) أو (في سبب نزولها قولان) أو (اختقوا في نزولها على قولين) أو (وفي سبب نزولها ثلاثة أقوال) أو (في سبب نزولها أربعة أقوال) أو (في سبب نزولها خمسة أقوال) أو (اختلفوا فيمن نزلت على ستة أقوال).

٢-يعرض بعض المسائل اللغوية والنحوية التي تتضمنها ألفاظ وتراكيب النصوص، ذاكرا أبرز آراء اللغويين والنحويين كالخليل بن أحمد الفراهيدي وسيبويه والكسائي والفراء والمبرد وأبو عبيدة وأبي عمر بن العلاء والأصمعي والأخفش وابن السائب الكلبي وابن قتيبة وأبي العباس ثعلب والزجاج وأبي جعفر النحاس وأبي منصور الأزهري وابن الأنباري وغيرهم، وأحيانا يذكر اختلاف النحويين في بعض معاني أو استعمالات بعض الأدوات النحوية.

٣-يعرض القراءات القرآنية للألفاظ الواردة في النصوص، ولا يكتفي بالرواية عن القراء العشرة المشهورين بل يروي كل ما سمعه من القراءات أو لغات القبائل، كقراءة علي (ع) وقراءة ابن عباس وقراءة أبي عمرو بن العلاء وقراءة الكسائي وقراءة حمزة وقراءة نافع وقراءة عاصم وقراءة حفص وقراءة ابن عامر وقراءة المفضل وقراءة أبي جعفر وقراءة ابن يعمر وقراءة أبي بن كعب وقراءة أبي المتوكل وقراءة أبي عمران وقراءة ابن السميفع وقراءة ابن الجوزاء وقراءة طلحة بن معرف وقراءة الجحدري وقراءة الزهري وقراءة أبي العالية وقراءة ابن محيصن وقراءة ابن أبي عبلة وغيرهم، ومن اللغات (لغة أهل الحجاز) و(لغة قريش) و(لغة أهل اليمن) و (لغة تميم وبكر) و(لغة تميم وقيس) و(لغة أزد عمان) و(لغة أزد شنوءة) و(لغة لعذرة وكلب) و(لغة بعض بني ربيعة) و(لغة عكل) و(لغة الحارث بن كعب)، وأحيانا يكتفي بالقول (لغة بعض العرب) أو (هذه لغة يمانية) أو (لغة يمانية فصيحة) أو (لغة قوم من العرب) أو (لغة جيدة عالية) أو (يجوز أن يكون لغة) أو (وهي لغة) أو (وفيه لغة أخرى).

ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

٤-ينقل أبرز آراء الصحابة والعلماء والمفسرين السابقين والمعاصرين في تفسير الآيات وبيان معاني المفردات والنصوص، إذ يروي عن الإمام علي (ع) وعمر بن الخطاب وابن عباس وعمار بن ياسر وجابر بن عبد الله الأنصاري وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن مسعود ومالك بن أنس والشافعي وأنس بن مالك ومجاهد وقتادة وعكرمة وعطاء والسدي والشعبي والضحاك والربيع والحسن وسعيد بن جبير وزيد بن أسلم وأبي هريرة والطبري والواحدي والثعلبي والماوردي وغيرهم.

٥-عندما يفسر آية أو يعرض مسألة أو يشرح معنى مفردة أو عبارة يحصي ما قيل فيها من رأي أو تفسير أو تأويل أو معنى أو بيان أو استدلال أو تصويب او ترجيح أو جواز، ويستهل ذلك بعبارة (وفيه قولان) أو (وفيه ثلاثة أقوال) أو (وفيه أربعة أقوال) أو (وفيه خمسة أقوال) أو (وفيه ستة أقوال) أو (وفيه سبعة أقوال أو (وللمفسرين فيه ثمانية أقوال) أو (وفيها للمفسرين تسعة أقوال) أو (وللمفسرين فيه عشرة اقوال).

٦-عندما يذكر رأيا أو قولا له يستهله بعبارة (والذي أراه) أو (ومعنى الكلام) أو (والمعنى) أو (أي ...)، وأحيانا يوجه سؤالا ثم يجيب عنه.

٧-أحيانا ينقل رأيا أو يذكر قولا أو بروي خبرا ولا يسمي صاحبه بل يكتفي بعبارة (قال بعضهم) أو (على رأي بعضهم) أو (قال اللغويون) أو (قال المفسرون) أو (قال الجمهور) أو (قال جمهور المفسرين) أو (ذكر المفسرون) أو (أجاز بعض العلماء) أو (ويقال).

٨-أحيانا يعلق على قول أو رأي لأحد العلماء أو المفسرين بإثبات صحته أو نفيها مستدلا على ذلك بأدلة عقلية أو نقلية، ومن ذلك قوله (ولا أرى هذا القول صحيحا) وقوله (والقول على الإطلاق أصح) وقوله (وفي

ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

هذا القول بعد) وقوله (وهو قول صحيح) وقوله (لأنه قول صحيح) وقوله (وهو الصحيح) وقوله (والتفسير الصحيح) وقوله (والذي اعتمدنا عليه أصح) وقوله (وهو الأصح).

٩–أحيانا يرجح أحد الآراء أو الأقوال أو التفسيرات او قراءة من القراءات بقوله (والتفسير الأول أحب إلي) أو قوله (وهذا أعجب إلي) أو قوله (وهي أحب إلي) أو قوله (والفتح أحب إلي) أو قوله (والكسر أحب إلي).

١٠–وإذا أراد التشكيك بقول أو رأي صدَّر قوله بكلمة (زعم) مثل قوله (زعم بعض ناقلي التفسير) وقوله (زعم سيبويه والخليل) وقوله (زعم الكسائي) وقوله (زعم أبو عبيدة) وقوله (زعم أهل الإرجاء) وقوله (زعم قوم).

١١–أحيانا يستشهد بنصوص شعرية للاستدلال بها على مسألة أو قراءة أو لتعزيز ما يذهب إليه أو ينقله عن أحد العلماء أو المفسرين فينسب البيت الى صاحبه، كقوله (قال امرؤ القيس) أو (قال الأعشى) أو (قال زهير) أو (قال النابغة) أو (قال أوس بن حجر) أو (قال المسيب بن علس) أو (قال حسان بن ثابت) أو (قال ذو الرمة) أو (قال عنترة) أو (قال أبو ذؤيب) أو (قال تميم بن مقبل) أو (قال عبدة بن الطبيب) أو (قال هميان بن قحافة) أو يكتفي بالقول (قال الشاعر) أو (قال بعضهم) أو (وقال الآخر) أو (أنشدني بعض بني كلاب) أو (وأنشدوا).

١٢–كما نجد عنده آراء نقدية من خلال التعليق على بعض النصوص الشعرية والإشارة الى مواضع الحسن أو الإجادة فيها، وبخاصة ما يتصل بوسائل التصوير الفني كالتشبيه أو الاستعارة أو الكناية أو التعريض أو الإشارة، ومن ذلك قوله (ومتى وقع في الكلام إشارة أو كناية أو تعريض أو تشبيه كان أفصح وأغرب)،

KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

وقوله (فجعل النظر بمنزلة السهم على جهة التشبيه فحلا هذا عند كل سامع ومنشد وزاد في بلاغته)، وقوله (فجعل لليل صلباً وصدراً على جهة التشبيه فحسن بذلك شعره)، وقوله (فجعل لها غناء وفماً على جهة الاستعارة)، وغيرها.

١٣–أحيانا يستدل على ما يذكره أو يذهب إليه بالحديث النبوي المروي في كتب الصحاح كصحيح البخاري وصحيح مسلم وصحيح الحاكم النيسابوري (المستدرك)، كقوله (روى البخاري في صحيحه) وقوله (أخرجه البخاري) وقوله (أخرجه البخاري ومسلم) وقوله (روى البخاري ومسلم في الصحيحين) وقوله (روى مسلم في صحيحه) وقوله (أخرجه مسلم في صحيحه) وقوله (أخرجه أبو عبد الله الحاكم في صحيحه) وقوله (أو يكتفي بالقول (وجاء في الحديث الصحيح) أو (ويدل على ذلك الحديث الصحيح) أو (ويشهد له الحديث الصحيح) أو (ويؤيده الحديث الصحيح).

١٤–والمؤلف مقلٌ في الوقوف على التشبيهات والاستعارات القرآنية وتحليلها أو بيان أنماطها أو أثرها في تشكيل المعنى أو التعبير عنه بأسلوب فني بليغ، وكل ما ورد ذكره لا يعدو كونه شذرات متناثرة في تفسيره لم يخصص لها فصلا أو مبحثا مستقلا، كقوله (ومعنى تشبيه الكافر بهذه الشجرة أنه لا يصعد للكافر عمل صالح ولا قول طيب ولا لقوله أصل ثابت) وقوله (ويجوز أن يكون على التشبيه، أي: ما يُسقَى ماءٌ كأنه صديد) وقوله (ووجه التشبيه أن هؤلاء لم ينتفعوا بما سمعوا، كالصُمِّ لا يفيدهم صوت مناديهم) وقوله (أصل الذوق إنما يكون بالفم، وهذا استعارة منه) وقوله (إن الأصل في استعارة اسم النار للحرب أن القبيلة من العرب كانت إذا أرادت حرب أُخرى أوقدت النار على رؤوس الجبال) وقوله (وسمي الحافر ظفراً على

ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

الاستعارة) وقوله (وذِكْر الأقفال استعارة والمراد أن القَلْب يكون كالبيت المُقفَل لا يَصِلُ إِليه الهُدى) وقوله (فسمي الطعام متَّكأً على الاستعارة)، وكل ذلك ورد في غير نصوص عينة الدراسة، أما ما ورد له من آراء في التشبيه والاستعارة في نصوص عينة الدراسة فقد ذكرناه في موضعه من البحث وعلَّقنا عليه، ولذا أخذنا على عاتقنا استنباطها والكشف عنها من خلال الإشارات أو التلميحات أو الكلام المقتضب الذي ورد في أثناء تفسيره للنصوص القرآنية.

المبحث الاول: التشبيه/

التشبيه نمط بلاغي لتأدية المعنى المقصود بطريقة فنية. وله ميدان واسع في الأدب على صعيد الشعر أو الكتابة، ولكنه أقل من الاستعارة تأثيرا وجمالا من الناحية الفنية لاقتصاره على علاقة المشابهة بين طرفي الصورة الفنية. وأركان التشبيه أربعة، طرفا التشبيه المشبه والمشبه به والأداة ووجه الشبه، وله أنواع عديدة معروفة[١]. ويعتمد التشبيه على قوة الطبع ودقة الملاحظة وسعة المخيلة والادراك العقلي المتميز، من دون أن يلغي الحدود الفاصلة بين طرفي الصورة[٢].

أولا/ تشبيه حال الكفار عند رؤيتهم لمشاهد القيامة بحال من لم يكتب له العيش سوى عشية أو يوم في قوله تعالى (كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أوضحاها):

إن قيمة الحياة تتحدد بما يقوم به الإنسان من عمل خلال أيام حياته وما سيحظى به من جزاء في الآخرة جراء ذلك العمل، خير فخير وإن كان شرا فشر، وهذا الانطباع يحضر بقوة وبتجسد بأعلى مستوى في ذهن ذلك الإنسان الغافل لحظة ظهور الحقيقة الناصعة بلا مؤثرات ولا رتوش، حقيقة أن الإنسان ذاهب لا محالة

الى عالم آخر غير العالم الذي ألفه وعاش حياته فيه، عالم جديد مختلف لم يعشه وإنما كان يسمع عنه ويخبر به، ولا بد له أن يواجه هذا المصير الذي كان يحاول جاهدا أن يتخفى منه أو يتناساه في أقل تقدير، ومتى ما حانت الساعة وصار ذلك واقعا وأمرا محتوما مفروغا منه عاد ذلك الإنسان المشكك أو المعاند أو الغافل الى وعيه وتيقنَّ أنه قادم للقاء ربه وأنه سوف يحاسب على أفعاله خيرها وشرها، فعندئذ يستحضر حياته بكل دقائقها وتفصيلاتها وتمرُّ عليه بسرعة خاطفة، وكأنها حلم ساعة أو ليلة، يتلاشى بمجرد أن يصحو منه الإنسان ويبزغ عليه فجر نهار جديد ولكن ليس الأمر كذلك، إنها الحقيقة التي لم يكن يعيها ولم يستعد لها، إنها حياته التي ضيعها ولم ينتفع بها أو يسخرها لنيل حياة أغلى وأجمل، تلك الحياة السرمدية الأبدية بكل سحرها وجمالها ونعيمها وملذاتها، وكأنه لم يعش حياته تلك، وكأنها فراغ تملؤه الحسرة والندامة، وهي بكل تفاصيلها كأنها لحظة عابرة أو ساعة من الزمان أو بوم أو بعض يوم، ولكن حملها كبير وتداعياتها خطيرة، نعم لقد انطفأ وهجها واختفت ملذاتها وبقيت آثارها تجرُّ عليه بالوبال وتدعو له بالثبور، إنها لحظة المواجهة ولحظة الانكشاف ولحظة الندم، إنها لحظة الجزاء والحساب ودفع الفواتير، وكأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا، أي لم يعيشوا سوى قدر ضئيل أو مدة حقيرة تافهة مضت سريعا تاركة وراءها حمل ثقيل يقصم الظهور ويقض المضاجع، بل يكاد يسلخ النفوس من أجسادها، يرافقه شعور دائم بالخذلان والانكسار والندم والخسران، يقول ابن الجوزي: المعنى كأنهم أي الكفار يوم يعاينون القيامة لم يلبثوا في الدنيا أو في قبورهم سوى عشية أو ضحاها أي قَدْر آخر النهار من بعد العصر أو أوله إلى أن ترتفع الشمس[٣]. وأشار السيوطي الى أن تقصير مدة حياتهم أو اختزالها بعشية إنما هو من جراء سرعة زوال

ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

النعيم وانطفاء لذة العيش، يقول: وكأنهم يوم يرون القيامة لم يقيموا في الدنيا ولم ينعموا بشيء من نعيمها[٤]، وأرجع أبو الحسن الواحدي سبب ذلك الى هول الصدمة وما عاينوه من المشاهد المروعة والأحداث المذهلة، يقول: لقد استقصروا مدَّة عيشهم في الدنيا أو مكوثهم في القبر لما عاينوه من الهول والشدائد[٥].

وذكر أبو حيان أن الأمر الجامع بين الطرفين أو الحالتين هو قصر المدة الزمنية، فمن عاش ليلية أو ضحى يوم فهي مدة قصيرة جدا بحسب معدل الأعمار في دار الدنيا، وكذلك حال من عاش طويلا في الدنيا ولكن كان مآله العذاب في الآخرة فمدة بقائه في الدنيا وإن طالت لا تساوي شيئا بالنسبة لمدة العذاب في الآخرة، يقول: أفاد التشبيه سرعة انقضاء مدة عيشهم في الدنيا إذا رأوا العذاب وطال مقامهم في النار[٦] ولا ريب أن نعيم الدنيا أو شقاءها لا يقاس ولو بمقدار ذرة بنعيم الآخرة أو عذابها، لذا فإن الأثر النفسي المترتب على ما يلقاه الإنسان يوم القيامة من نعيم أو شقاء يمحو كل ما هو مخزون في الذهن من شعور باللذة أو الألم، وهذا الذي عاش ليلة أو يوما واحدا لم يذق شيئا بعد من نعيم الدنيا فهو أشد الناس تعلقا بها وطلبا إليها، وكذلك حال الكفار أو العاصين فهم أشد ندما وحسرة على ما فرطوا فيه في حياتهم، ولذا غاية ما يتمنونه العودة الى دار الدنيا، وأول كلمة تجري على ألسنتهم (يا ليتنا نرد)[٧] و(هل الى مرد من سبيل)[٨]، ومهما كانت مدة حياتهم في الدنيا فهي لا تعد شيئا لطول مدة العذاب في الآخرة، وقد أشار الشنقيطي الى هذا المعنى بقوله: إن مدة مكثهم في الدنيا قليلة جدا بالنسبة الى طول مدة العذاب وهم خالدون في النار[٩].

ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

وذهب ابن عاشور الى أن الشبه واقع في الملامح والصفات وأنه لم يمنعهم طول مدة لبثهم في قبورهم من الحشر بصفاتهم التي عاشوا عليها في الحياة الدنيا[١٠].

ثانيا: تشبيه جهنم بآلة الرصد في قوله تعالى (إن جهنم كانت مرصادا):

وهو تشبيه بليغ أتى بطرفيه، وهما المشبه، وهو جهنم، والمشبه به وهو المنظار أو آلة الرصد، وحذف منه الشبه والأداة، وأراد ان المنظار يراقب الأشياء ويدقق فيها ملما بتفاصيلها ودقائقها كذلك جهنم تترقب الكفار ولا تنفك عنهم كالمطلع على شيء بالإحاطة والشمول لم يفته جزء من أجزائه ولم يغب عنه أمر من أموره، قال ابن الجوزي: أراد أن جهنم مرصاداً يرصدون به، أي هو مُعَدٌّ لهم يَرصُد بها خزنتها الكفارَ، والمرصاد هو المكان الذي يَرصُد فيه الراصد العدُوَّ[١١]، وذهب الطوسي الى أن المرصد هو الطريق[١٢]، أي أن النار طريق ومعبر معد ومعبد لابد لكل إنسان أن يمر به ولا يحيد عنه وأنه لا يدخل أحد الجنة حتى يقطعه ويجتازه، والشبه هو السعة والشمول، فكما أن الطريق معد ليمر به الجميع، لا يفوته أحد ولا يضيق بأحد ولا يستثني أحدا بل كل يمر به ويلقاه كذلك جهنم كل منا واردها لا يفوتها أحد وهي ممر للناجين يوم المعاد للجواز الى الجنة أو مقر للهالكين أولئك الذين زلت أقدامهم فسقطوا في قعرها واستقروا في الدرك الأسفل منها، قال أبو الحسن الماوردي: إن على النار رصداً لا يدخل أحد الجنة حتى يجتاز عليه، فمن جاء بجواز جاز، ومن لم يجئ بجواز لم يجز[١٣]، وأشار السيوطي الى أن جهنم هي قنطرة المرور الى الجنة لا بد لكل أحد من المرور عليها واجتيازها إذا كانت الجنة مراده ومقصده، يقول: المعنى أنه في طريق الخلائق ثلاث قناطر لا يدخل الجنة أحد حتى يجتاز النار[١٤]، وذكر الرازي أن النص يحتمل الوجهين، وذلك أن المرصاد

من الرصد وهو على وزن (مفعال) وهو من أبنية المبالغة والمعنى أنها ترصد أعداء الله وتشق عليهم، أو أن مجاز المؤمنين وممرهم إنما يكون على جهنم وإن خزنة الجنان يرصدونهم وستقبلونهم عندها[١٥].

ثالثا/ تشبيه الناس عند حشرهم بالفراش أو البعوض في قوله تعالى (يوم يكون الناس كالفراش المبثوث):

وهو تشبيه مجمل سقط منه عنصر من عناصره الأربعة، وهو وجه الشبه، طرفاه حسيان المشبه، وهو الناس، والمشبه به، وهو الفراش أو البعوض، والشبه المنتزع من الصورة هو قلة الحيلة والضعف أو التزاحم والتدافع والاكتظاظ والسير المضطرب بلا انتظام ولا ترتيب والى غير وجهة معلومة، قال ابن الجوزي: لقد شبه الناس في ذلك الموقف العظيم ساعة البعث بالبعوض أو صغار البق وهو يتهافت في النار وبالجراد المنتشر لأنهم إذا بعثوا ماج بعضهم في بعض[١٦].

ولما كان الناس في حيرة واضطراب شديدين لهول مشاهد القيامة وشدتها فلا غرابة أن يتدافعوا ويركب بعضهم بعضا لعجزهم وذلتهم وانتشارهم وقد شبهوا بالفراش من هذا الوجه، قال أبو حيان: إن الفراش أو صغار الجراد يقصد النار ولا يزال يتقحم على المصباح ونحوه حتى يحترق، شبه بهم الناس يوم حشرهم في الكثرة والانتشار والضعف والذلة والمجيء والذهاب على غير نظام والتطاير إلى الداعي من كل جهة حتى تدعوهم إلى ناحية المحشر، كالفراش المتطاير إلى النار[١٧].

ولفظ الناس عام يشمل الفريقين الكفار والمؤمنين لأن الحشر ومنازل القيامة أمر مقدر على جميع الخلائق مؤمنها وكافرها ثم يفترقون الى فرقتين، فرقة في الجنة وأخرى في السعير. وذهب أبو الحسن الماوردي الى

ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

أن اللفظ عام أريد به التخصيص وأن التشبيه مقصور على الكفار وهم الذين يتهافتون في النار تهافت الجراد أو البعوض[١٨].

والنص يرسم لنا صورة ديناميكية أو مشهد انفعالي من مشاهد القيامة يتجسد فيه هول الحشر وقوة الصدمة التي تؤدي الى فقدان التوازن ومن ثم الحركة العشوائية المضطربة، وهذا الاضطراب الشديد من جراء أنه يمر بموقف لم يعهده سابقا ولا خبر نظيرا له من قبل، وهنا هول الموقف يساوي هول الدهشة والحيرة ويعاكسه في الاتجاه فتكون ردة الفعل عظيمة بعظم ذلك الموقف فيصدر منه هذا الاضطراب والتبعثر نتيجة طبيعية للخلل المفاجئ في المنظومتين الفكرية (الغريزية في حالة الفراش) والنفسية. ولا شك أن الجميع يتألم وأن الجميع في حيرة وذهول لم يعرف لهما نظير من قبل كما أن الجميع يحاول عبثا تجنيب نفسه الخطر المحدق، النار المحرقة في حالة الفراش أو البعوض، وهول المطلع أو المصير المجهول في حالة النفس البشرية ساعة البعث والنشور، والبحث عن الخلاص بكل وسيلة ممكنة ولكن من دون جدوى. وقد خرج الخبر عن معناه الحقيقي الى معنى مجازي وهو التحذير من ذلك الموقف العظيم للرجوع الى الله وحمل النفس على الإيمان والتقوى والعمل الصالح.

إن صورة الفراش أو البعوض يتهافت في النار ترسم مشهدا عبثيا حقيقيا (فطريا) يلتقي مع مشهد عبثي متخيل مقصود (أو مخطط له) في العناصر الآتية:

١. الصدمة أو عنصر المفاجئة

٢. الأذى الشديد

KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

٣. الخوف الشديد من الهلاك

٤. السرعة المطلوبة لاتخاذ القرار صائبا كان أو خاطئا

٥. غياب التجربة أو الموقف المشابه

لكنَّ فرقا كبيرا بينهما، فالأول سلبي غير هادف والثاني إيجابي هادف، والهدف هو إحداث التأثير الانفعالي المطلوب، من خلال البحث عن موقف إيجابي من براثن سلبية المشهد المتخيل بقصد إحداث التغيير الإيجابي في السلوك.

وفي النص نكتة لطيفة أشار إليها الزمخشري وهي التناهي في الضعف وقلة التدبير لكبح لجام النفس الإنسانية بكل غرورها وكبرها وعجبها وجهلها وضلالها وتمردها وعصيانها، وإذا بها وهي في قبضة خالقها، وقد ضيق عليها وغلق منافذ السلامة والنجاة بوجهها لينزع عنها كبريائها المزيف وغرورها الكاذب، وإذا بها كأحقر وأضعف ما خلق الله وهي البعوضة أو الفراشة، يقول: لقد شبه الناس في ذلك الموقف العظيم بالفراش لأنه مثل في الضعف، فإنها وقعة لا تطاق وأن لا نفس حينئذٍ تحدث صاحبها بما تحدثه به عند عظائم الأمور وتزين له احتمالها وإطاقتها، لأنهم يومئذٍ أضعف من ذلك وأذل، وهو أقرب الى قولهم: كذبت فلاناً نفسه في الخطب العظيم، إذا شجعته على مباشرته وقالت له إنك تطيقه وما فوقه فتعرّض له ولا تبال به[١٩].

والى ذلك أشار ابن جزي في قوله: المعنى أنه شبه الله الخلق يوم القيامة بالفراش، وهو الطير الصغير الذي يشبه البعوض، في كثرتهم وانتشارهم وذلتهم ويحتمل أنه شبههم به لتساقطهم في جهنم كما يتساقط الفراش في المصباح[٢٠].

ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

رابعا: تشبيه أصحاب الفيل في حال هلاكهم بزرع مأكول أو بقشرة حبة فارغة في قوله تعالى (فجعلهم كعصف مأكول):

وهو تشبيه مجمل، طرفاه حسيان، أصحاب الفيل/ العصف، والشبه الجامع بين طرفي الصورة هو ،،انتفاء القيمة،، أو التحول من أعلى نقطة (القوة/ الشموخ) الى أدنى نقطة (الضعف/ الهوان).

وأشار الزمخشري الى أن التشبيه جمع بين التلف والخسة، وذلك قوله: لم يكتف أن شبههم بالعصف حتى جعله مؤوفا بالأَكال[٢١].

وذهب القرطبي الى أن الشبه بين ورق الزرع وأصحاب الفيل هو تفرق أجزاء الشيء او ما يسمى بالدمار الشامل، كأن تكون الحجارة قد فجرت أجسادهم أو أهلكتهم فداستهم الفيلة بأقدامها فمزقت أوصالهم وفرقت أعضاءهم كما تأكل الدواب ورق الزرع وتفتته، يقول: أراد جعلهم كورق الزرع إذا أكلته الدواب فرمت به من أسفل، شبه تقطع أوصالهم بتفرق أجزائه[٢٢].

وذهب أبو الحسن الماوردي الى أن الشبه هو فساد الشيء وتلفه، والمعنى أنهم ماتوا فيبست أجسادهم كأوراق الشجر أو أغصانها إذا ذبلت واصفرت ثم يبست[٢٣].

وذكر ابن كثير أن غرض التشبيه هو الاعتبار، والمعنى أنه جعلهم عبرة ونكالا لغيرهم كما تتحول السنابل الشامخة الى روث[٢٤].

ويشير الواحدي الى معنى الإذلال المستفاد من التشبيه، يقول: أراد ماتوا فداستهم الفيلة بأرجلها فمزقتهم أشلاءً كزرع أكلته الدواب فداسته بأقدامها وفتَّته[٢٥].

KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

ويذكر ابن جزي ثلاثة أوجه للشبه المتحصل من تشبيههم بالعصف، وهي:

١. ذابت أجسادهم وبقيت منها بقايا كبقايا ورق الزرع إذا أكله الدود

٢. افترقوا وبقي منهم أثر دال عليهم

٣. انتزعت الأرواح وبقيت أجسادهم جثثا هامدة

يقول: شبههم بالتبن إذا أكلته الدواب ثم راثته فجمع بين التلف والخسة، أو أنه أراد ورق الزرع إذا أكله الدود أو كالعصف الذي أكل زرعه وبقي لا شيء أو شيئا لا نفع فيه[٢٦].

ويذكر ابن الجوزي ثلاث تفسيرات للنص يلمح بها الى أن الشبه بين طرفي الصورة متعدد ويتم التقاطه من ثلاث جهات وليس من جهة واحدة، أي أن الصورة منفتحة الدلالة أو التأويل بحسب ذهنية المتلقي، وهذه الوجوه هي[٢٧]:

١. الضعة وانتفاء الفائدة، إذ إن الحبوب تشكل قيمة غذائية عليا للإنسان والحيوان فإذا أُكلت بذورها وبقيت قشورا فارغة فقد أفرغت من محتواها وانتفت قيمتها الغذائية، أي لقد صار هؤلاء القوم طعاما للطيور كالتبن الذي هو مأكول البهائم.

٢. الإذلال والهوان، وذلك أن السنابل لها ما لها من الرفعة والشموخ فما أن تحصد وتؤكل بذورها ولم يبق سوى القشور التي تداس بالأرجل وتأكلها البهائم ثم تخرجها روثا من بطونها، وكذلك أصحاب الفيل أصابهم الذل والهوان من بعد عزهم وجبروتهم وقوتهم فإذا بهم جيف تنهش منها الطيور والكلاب ونحوها.

٣. العجز والخور، إذ بين التشبيه عجز هؤلاء القوم وخورهم وكيف سلب منهم كبرياءهم وعنجهيتهم وتركهم رميما أو جثثا هامدة، كالقشور التي هي أغلفة الحبوب إذا أُكل ما بداخلها دبَّ فيها الضعف وبان خورها فتجرفها السيول أو تعبث بها الرياح.

ويمكن لي أن أضيف وجها رابعا وهو القتل غير المباشر أو ما يسمى بـ ،،القتل بالنيابة،، وذلك أن هذه الحجارة فيها تقنية خاصة للقتل وتعد آلة قتل فتاكة، إذ تعمل الحرارة الهائلة على صهر أو إذابة الدماغ فيخروا صرعى من فورهم، أي أن القتل داخلي لا تظهر أعراضه على الجسم من الخارج، فكما أن الزرع أو ورق الشجر يجفُّ منه الماء فيذبل ويموت فكأنه أُكل من الداخل، أي أكل نفسه بنفسه، كذلك فعل هذه الحجارة أو القنابل الذكية الفتاكة إذ تصهر دماغ الإنسان فيهوي جثة هامدة كورق الشجر المأكول.

والذي أميل إليه أن الذي قتلهم هو الخوف وأن الطير لم ترمهم بشيء وإنما قتلهم الهلع الشديد من بعد ما رأوا الطير تحلق فوق رؤوسهم التي لم يروا مثلها من قبل، أي قتلتهم أنفسهم أو قتلوا أنفسهم بأنفسهم، وأن قوله (ترميهم) بمعنى يخيل إليهم ذلك، وتؤكد الدراسات الحديثة أن الخوف الشديد أو الهلع الذي يتعرض له الإنسان قد يؤدي الى الوفاة بسبب حدوث النوبة القلبية أو الجلطات أو تلف الأوعية الدموية[٢٨]. وهذا المعنى نقله ابن الجوزي عن الزجاج، وهو قوله: أراد ترميهم بحجارة من سجل أي مما كتب لهم أن يعذبوا به[٢٩].

وقد وصف العصف بأنه مأكول مبالغة في تدميرهم، فلا قيمة لقشور الحبوب، كالقمح والشعير وغيرها، وقد انتزع منها لبُّها، وكذلك هؤلاء القوم وكأنهم أبيدوا ولم يبق منهم شيء يدل على وجودهم من بعد ما كان من

ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

أمرهم من القوة والعزة والمنعة، وهو مثل قوله تعالى (وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا)[٣٠] أي لا يقع عليهم ظلم أو حيف أبدا[٣١]، وفيه ما فيه من الإذلال والتحقير من بعد تلك العظمة والجبروت!.

خامسا/ تشبيه الجبال في ذلك اليوم الموعود بالصوف في قوله تعالى (وتكون الجبال كالعهن المنفوش):

وهو تشبيه مجمل سقط منه وجه الشبه، وهو الضعف بعد القوة والتفرق بعد الاجتماع أو ما يمكن أن أصطلح عليه بـ (التلاشي والاندثار)، وطرفا التشبيه (الجبال/ الصوف) حسيان.

والمعنى تصبح الجبال ذرات ملونة منتشرة مبعثرة في الهواء كذرات الصوف الملون المتناثرة من هنا ومن هناك، تلك الصخور الكبيرة المتراصة المتماسكة التي لا تتزحزح عن أماكنها لعظمها وثقلها وإذا بها ذرات متطايرة متناثرة تسبح في الفضاء.

وأشار أبو الحسن الماوردي الى هذا المعنى بقوله: وجاء التشبيه بالصوف لخفته وضعفه وقد شبه به تلك الجبال العظيمة الراسخة لخفتها وتناثرها ونفرق أجزائها من بعد شدتها وثباتها كذرات الصوف المبعثرة المتناثرة [٣٢].

وذهب الزمخشري الى أن الشبه بين طرفي الصورة يرجع الى خفة الشيء وتناثر أجزائه وتطايرها في الفضاء، وذلك قوله: أراد أن الجبال على اختلاف ألوانها إذا فتت وتطايرت في الجو أشبهت الصوف المصبوغ المنفوش إذا طيرته الريح[٣٣].

وأرجع ابن جزي الشبه الى الضعف أو اللين وتعدد الألوان، يقول: وجاء تشبيه الجبال بالعهن، وهو الصوف، في انتفاشه وتخلخل أجزائه واختلاف ألوانه[٣٤].

وكل هذه المعاني من البلا والتمزق والتناثر والتطاير والبسّ والتفتيت والتسوية والانتشار والخفة والليونة والانبساط تنضوي تحت مفهوم أعم وأشمل هو الاندثار والتلاشي.

تتجلى ضدية القوة/ الضعف أو الزيادة/ النقص في القرآن الكريم بشكل متكرر في موضوعات عدة وفي آيات وسور عديدة[٣٥]، ومنها النص الذي نحن بصدده، وذلك بين الجبال/ الصوف، فالجبال بوصفها رمزا للشموخ والقوة والكبرياء والعلو والعظمة، في لحظة ما تسقط عنها رمزيتها وتتهاوى من القمة الى القعر ومن أعلى نقطة للشموخ والعظمة الى أدنى نقطة من الذل والضعف والدنو والضعة، ومن قيمة مركزية عليا الى وضعية هامشية دنيا، ويدلك هذا على أمور عدة:

١. هول الموقف وشدته

٢. عظمة الخالق وقدرته وهيمنته على مخلوقاته

٣. إنه لا شيء يبقى على حاله فكلٌ الى زوال، فالسماء تنفطر وتنشق من مجرتها وتفتح أبوابها انقيادا وإذعانا وطاعة لأمر الله سبحانه، والشمس تتكور وتضمحل وتذوب وتتلاشى وينطفئ ضوءها، والكواكب والأجرام العظيمة تتساقط ويأفل نورها وتنطمس معالمها، والأرض تمد وتسوى كما يمدُّ الأديم وتلقي ما في بطنها من الموتى والمعادن والكنوز، والجبال الراسيات تندكُّ وتزال عن مواضعها وتسوى بالأرض وتفتت كالسويق أو كالدقيق وتتلاشى كالسراب وتتطاير في الهواء كالغبار أو كشرر النار[٣٦].

وقد تقدم ذكر القارعة في أول السورة، والقارعة تعني الداهية، وهي اسم للشدة مشتقة من قرع الصوت الشديد لشدة أهوالها[٣٧]، وجاء في كلام العرب (قرعتهم القارعة وفرقتهم الفاقرة)[٣٨]، ومنه قوله تعالى (تصيبهم بما

ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

صنعوا قارعة)[٣٩] أي نكبة أو عذاب أو شدة عظيمة من شدائد الدهر[٤٠]. وقيل: هي من أسماء القيامة لأنها تقرع القلوب بهولها، أو هي النفخة في الصور لأنها تقرع الأسماع[٤١]. وقال أبو السعود: وجاءت التسمية بالقارعة لأنَّها تقرعُ القلوبَ والأسماعَ بفنونِ الأفزاعِ والأهوالِ وتُخْرِجُ جميعَ الأجرامِ العلويةِ والسفليةِ منْ حالٍ إلى حالٍ السماءَ بالانشقاقِ والانفطارِ والشمسَ والنجومَ بالتكويرِ والانكدارِ والانتشارِ والأرضَ بالزلزالِ والتبديل[٤٢].

لقد خرج الاستفهام في قوله (ما القارعة) عن معناه الحقيقي لإفادة معنى التنبيه، غير أن العلماء والمفسرين ذكروا معاني عديدة خرج إليها الاستفهام، كالدلالة على التفخيم[٤٣] أو التعظيم[٤٤] أو التهويل[٤٥]، وكل هذه المعاني التي ذكرها العلماء تنضوي تحت معنى التنبيه والتحذير[٤٦]، ولذا أردفه بعبارة (ما أدراك) باستعمال أسلوب التكرار، وهو من الأساليب المعتادة والمألوفة في كلام العرب وتأتي لأغراض كثيرة[٤٧]، ولم تقتصر هذه الصيغة أو هذا الأسلوب على هذه الآية بل تكرر مثل ذلك في نصوص عديدة[٤٨].

وجاء التنبيه في النص لأمر عظيم، وهو وقوع القيامة، ينبغي أن يكون حاضرا في ذهن الإنسان ومتجسدا في أفعاله وتصرفاته، بل يكون ماثلا أمام عينيه دائما وأبدا لردعه عن ارتكاب المعاصي أو فعل الآثام أو الانسلاخ عن منظومة القيم المتمثلة في الفطرة السليمة التي خلق الله سبحانه الإنسان عليها.

وقد تمرض النفوس أو تتقاعس فتتراجع تلك المنظومة القيمية أو يقل منسوبها لكنها قابلة للتحديث وإعادة البرمجة من خلال التذكير والتدبر وإعادة النظر ومحاسبة النفس على تقصيرها وجهلها وانحرافها عن الصراط

KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

المستقيم، والخضوع الكامل لحكمه تعالى وإرادته والانقياد لأوامره والتوجه إليه وحده بالعبودية والتسليم والطاعة.

وقد تأكد ما تقدم من التفخيم والتهويل بتكرار حرف الاستفهام ولكن بصيغة (ما أدراك)، وهذا الأسلوب التعبيري في كل استعمالاته القرآنية–فيما أرى–يفيد معنى التجهيل، والذي يعقبه توضيح وتفصيل، أي أنت أيها الإنسان أقل شأنا من أن تحيط علما بتلك الغيبيات والعلوم المستقبلية والحوادث العظيمة التي لم تقع بعد، فقد خصَّ بها ذاته المقدسة وادخرها في مكنون علمه، وأطلع أصفياءه وخاصته من عباده على بعض منها بقدر ما يقتضيه المقام وتتسع له العقول. وأشار الى هذا المعنى أبو السعود في قوله: وقوله (ما أدراك) تأكيد لمعنى التهويل والفظاعة لأمر القيامة ببيان خروجها عن دائرة علوم الخلائق على معنى أن عظم شأنها ومدى شدتها بلغ مبلغا لا تكاد تناله دراية أحد من الخلق[٤٩].

إذن ينبني النص على فكرة التحول من القوة الى الضعف، وهذا التحول يدفعك أيها الإنسان الى إعادة التقييم ورفع الغشاوة وتبديد الشبهات وتنقية الروح وتصفية النفس وتطهيرها من الأدران والشوائب والملوثات والمؤثرات وكل ما يحول دون تحقيق التماهي والانصهار مع الذات المقدسة وإخلاص العبودية لله عز وجل.

ويصور النص ما يقع للإنسان من الوهم والتخيل في تلك اللحظة الرهيبة، لحظة الوقوف بين يديه ربه للحساب أو لحظة النشر من قبره رثا مغبرا كالحا زائغ البصر والسوق عاريا ذليلا كئيبا مذهولا منكس الرأس ينظر من طرف خفي[٥٠]، وإذا به في تلك اللحظة ومن شدة الهول يرى "الجبل الصوف" أو "الصوف الجبل"

فيظنه جبلا فإذا مسه لم يجده شيئا، وكأنه أبصر بطرفه سرابا لا جبالا!، يقول ابن الجوزي: أراد وتصير الجبال كالصوف المندوف تراها فتظنها من شدة الهول جبالا فإذا مسستها لم تجد شيئا[٥١].

إن هذا التحول الكلي الخاطف من أقصى اليمين الى أقصى الشمال ومن أعلى نقطة فوق الأرض الى أدنى نقطة على سطحها، من كتل صخرية عظيمة الى ذرات من الغبار المتطاير أو الصوف المتناثر، يشير الى هول الصدمة وشدة وقع الحدث على النفس مما يؤدي الى انعدام التوازن وخلخلة البناء النفسي وانفراط عقده، وفيه لا ريب حث على إعادة النظر والعودة الى المسار الصحيح والانتباه سريعا من الغفلة في لحظة فارقة ربما لا تتكرر لجهل الإنسان بلحظة الرحيل وحلول الأجل، فتعطل الأعضاء وتتوقف الحواس عن مزاولة مهامها، وإذا بذلك الإنسان المخلخل وغير المتوازن والمعطل الحواس يبدو كأنه يرى جبالا أمام ناظريه وليس من جبال، ويبدو وكأنه يلامس صخورا متراصة عظيمة وإذا به يلامس ذرات من الصوف المنفوش المتطاير!، نعم إن هذا الانزلاق الخطير والتسافلية القصوى مدعاة للعظة والعبرة وتصحيح المسار وإحداث التغيير المقصود في السلوك.

وإن هذا الخلل والاضطراب الذي عليه الإنسان لهول الصدمة بفعل هذه المشاهد العظيمة والأحداث الجسيمة أمر له ما يسوغه، وذلك أن الجبال العظيمة الراسخة لم تطق صبرا بفعل ما كان من أمر القيامة حتى صارت في اللين والضعف والمطاوعة كالصوف الممزق المتناثر وحتى انهارت واندثرت وتطايرت كالغبار المتطاير، ولذلك قرن حاله بحالها وما جرى له ما جرى لها، يقول أبو حيان: وقرن بين الإنسان والجبال

تنبيها على تأثير القارعة في الجبال حتى صارت كالصوف البالي فكيف يكون الإنسان وما حاله عند سماعها[٥٢].

أوليس هذا الأمر الجليل والحدث العظيم أدعى الى العظة والعبرة والرجوع الى الله والتفكر في عظمته وجبروته، والعودة الى الذات وتبيُّن حقيقتها وما هي عليه من الضعف والعجز والفقر الى خالقها، وما أحوجك أيها الإنسان الى بعد النظر والتدبر والتأمل في عظمة الخالق وإحكام سيطرته وضعف المخلوق وعجزه ومحدوديته، فلا حولٌ ولا قوةٌ ولا ملكٌ ولا وجودٌ ولا سلطانٌ ولا قدرٌ ولا هيبةٌ ولا جلالٌ إلا بإذنه ومشيئته وسلطانه.

ولا ريب أن النفس الإنسانية، كلُّ نفس، إذا ما تجردت عن الهوى والأنوية جديرة بأن تحظى بالرحمة الإلهية وأن تدور في فلك عطفه وعنايته سبحانه، وهو الذي كتب على نفسه الرحمة ونهى عباده عن القنوط من رحمته أو اليأس من روحه، وحثهم على الرجاء لعفوه والطمع بكرمه وجوده، وتوجيه النظر دائما وأبدا الى مكنونات ألطافه والاستعداد الى الوفادة إليه والتزود من أنواره القدسية.

المبحث الثاني: الاستعارة/

الاستعارة هي أداة الشاعر أو الكاتب للتعبير عن المعنى بقصد التأثير في المتلقي، وهي نمط بلاغي أرقى من التشبيه لأنها تنبني على طرف واحد وليس على طرفين كالتشبيه، والعلاقة بين المستعار والمستعار له لا تقتصر على المشابهة بل تتعداها الى علاقات عديدة. والاستعارة أداة الشاعر لتشكيل صوره الشعرية،

وهي أكثر التقنيات البلاغية جمالا وتأثيرا في المتلقي لأنها تستدعي كد الخاطر وإتعاب الذهن لتفكيك الصورة والوصول الى الغرض المقصود، قال ابن منقذ: والاستعارة أوكد في النفس من الحقيقة، وهي تفعل في النفس مالا تفعله الحقيقة[٥٣]. والاستعارة تتبني على التخييل والادعاء، ومن هنا كان تأثيرها أعظم في نفس المتلقي ووقعها أشد، يقول القزويني: والاستعارة أبلغ من التشبيه وأشدَّ وقعاً في نفس المتلقي، لأنه كلما كانتْ داعيةً إلى التحليقِ في سماء الخيالِ، كان وقعُها في النفسِ أشدَّ، ومنزلتُها في البلاغة أعلَى[٥٤]. والاستعارة كما يقول عبد القاهر الجرجاني تعطينا الكثير من المعاني باليسير من اللفظ حتى تخرج من الصدفة الواحدة عدة من الدرر[٥٥]. والاستعارة، كما يؤكد النقد المعاصر، تقوم على مبدأ تجاوز اللغة الدلالية الى اللغة الايحائية من خلال عملية خلق جديد في اللغة وبما تقيمه من علاقات جديدة بين الكلمات وإذابة لعناصر الواقع واعادة تركيبها من جديد[٥٦]

أولا/ استعارة اللباس لليل واستعارة المعاش للنهار في قوله تعالى (وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا):

وهما استعارتان تصريحيتان حذف المشبه به من كليهما والتقدير (الليل كالغياب) و(النهار كالحضور)، إذ يشتغل النص على التضاد بين الغياب والحضور، فالليل والنهار لكل منهما صفة وغاية، فالليل للراحة والسكينة والهدوء لذا تطلب استعارة الغياب بينما النهار لطلب الرزق وقضاء الحوائج ومزاولة الأعمال لذا تطلب استعارة الحضور، وهنا يستحضر النص ثنائيات عديدة، كالعتمة والنور أو السكون والحركة أو التخفي والتجلي أو السلب والإيجاب أو الأيون والشحنة أو التوقف والانطلاق أو الإطفاء والتشغيل أو التجميد

والتفعيل أو الهدوء والضوضاء أو الموت والحياة... لفتح آفاق أو مدارك أو تولد أفكار جديدة لاستحضار المعنى في الذهن، فكأن الليل يجمد النوازع نحو الحركة والديناميكية والعمل وكأنه القناع اذي يخفي ملامح الوجه أو يستر عيوبه بل كأنه يجمد الحياة ويخفي معالمها في قبال مضاده وهو النهار الذي يظهر الحياة ويعززها ويجليها، قال ابن الجوزي: لباسا أي ساتراً بظلمته لأن ظلمته تغشى الأشخاص وتَشتمل عليها اشتمال اللباس على لابسه، وقوله معاشا أي سبباً لمعاشكم، والمعاش هو العيش وكل شيء يُعَاشُ به فهو مَعَاشٌ، والمعنى جعلنا النهار مطلباً للمعاش[٥٧]. وأشار أبو الحسن الماوردي الى معنى الغطاء أو القناع الذي يخفي شيئا ما أو يستر عيبا ماديا أو معنويا كما يستر اللباس العورة أو يواري ما لا ينبغي انكشافه وظهوره، وذلك قوله: جعله سباتا يعني غطاءً لأن يَسْتُرُ كمَا يستر اللباس[٥٨].

ثانيا/ استعارة السبات للنوم في قوله تعالى (وجعلنا نومكم سباتا):

أي في الليل انقطاع عن الحركة وراحة للبدن كما في السبات من انقطاع عن مزاولة الحركة والنشاط وتوقف عن القيام بالأعمال والفعاليات المعتادة، قال ابن كثير: أي قَطْعًا للحركة لراحة الأبدان، فإن الأعضاء والجوارح تكل من كثرة الحركة في الانتشار بالنهار في المعايش، فإذا جاء الليل وسكن سكنت الحركات، فاستراحت فحصل النوم الذي فيه راحة البدن والروح معا[٥٩]. لقد استعار الانقطاع للراحة والسكينة، وهي استعارة تصريحية حذف منها المشبه به على تقدير ،،وجعلنا الليل انقطاعا عن حركة أو عمل أو جعلناه فراغا من بعد اجتماع،، كالسبات وهو الركود من بعد حركة ونشاط دائبين، قال ابن الجوزي: أراد راحة لأبدانكم، ومنه يوم السبت لأن الخلق اجتمع يوم الجمعة وكان الفراغ منه في يوم السبت، وكأنه قيل لبني

ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

إسرائيل استريحوا في هذا اليوم ولا تعملوا فيه شيئاً، فسمِي يوم السبت أي يوم الراحة، وأصل السبت التَّمدُّد ، ومن تمدَّد فقد استراح وأزال عن جسده التعب أو الإعياء[٦٠].

ثالثا: استعارة المرأة المعصر للسحابة المحملة بالمياه في قوله تعالى (وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا):

وهي استعارة تصريحية حذف منها المشبه، وهو السحاب، وأتى بالمعصرات وهن النساء، قال ابن الجوزي: شبِّهت السحاب بمعاصير الجواري، والمُعصِرُ هي الجارية التي قد دنت من الحيض[٦١]، وأشار القرطبي الى أن الشبه بين السحابة والمرأة على وجه من الوجوه وهو تلك الحالة التي تنعصر فيها السحابة بالماء ولكنها لم تمطر بعد وقد دنا إعصارها، يقول: أراد السحائب التي تنعصر بالماء ولما تمطر بعد كالمرأة المعصر التي قد دنا حيضها ولم تحض[٦٢]، وذكر الثعلبي أن المستعار هو الرياح وأن حرف الجر (من) أفاد معنى الباء، يقول: أراد الرياح التي تعصر السحاب، ومجازه على هذا التأويل بالمعصرات[٦٣]، وأشار ابن جزي الى أنه أراد بالمعصرات السحاب وأنه مأخوذ من العصر لأن السحاب ينعصر فينزل منه الماء[٦٤].

رابعا/ استعارة الغطش لظلام الليل وعتمته واستعارة الإخراج لضحى النهار في قوله تعالى (وأغطش ليلها وأخرج ضحاها):

وهما استعارتان تصريحيتان حذف منهما المشبه الظلام/ الضياء وأبقى المشبه به العمش/ الإخراج (الانتزاع) دليلا عليهما من طريق الاستعارة التصريحية، قال ابن الجوزي: أغطش الليل بمعنى أظلمه وأخرج الضحى أي أظهر نور السماء بالشمس[٦٥].

ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

وينبني النص على الضدية الأزلية بين الخير والشر أو مشروع البناء ومشروع الهدم بدلالة الثنائيات المتضادة السماء والأرض، الليل والنهار، النور والظلمة، التزكية والهداية والخشية في قبال الطغيان والتكذيب والمعصية، وإن مرحلة التحول في الإنسان هي نقطة الانتقال من الجهل الى المعرفة والتي تتمثل في إظلام الليل وإخراج النهار ولذلك ابتدأ بالظلام، وهو ما يسمى بالجهل الفطري، لينتقل الى النور أو النهار الذي يرمز الى ما يمكن أن نصطلح عليه بـ ،،الوعي المكتسب،،

لقد أعقب استعارة العمش أو الإغطاش لعتمة الليل باستعارة الإخراج، وهي للشيء الدفين أو الخفي، لظهور ضحى النهار وإشراق نوره لاتساعه وبيانه وقوة تأثيره في النفس بعد حبسه أو إخفائه من قبل الليل وغلبة العتمة عليه، وقد أشار الى ذلك ابن عاشور في قوله: الفلق والسلخ والإخراج كلها استعارات لظهور النور بعد الظلام[٦٦].

ولا شك أن حلاوة المعرفة ولذة الإيمان تمحو وتذهب مرارة الجهل والغفلة، ولذلك تقدم ذكر الليل وأعقبه بإخراج الضحى وإبرازه، وهو أشرف أوقات النهار، وقد أشار أبو السعود الى هذا المعنى بقوله: إن إفاضة النور بعد الظلمة أتم في الإنعام وأكمل في الإحسان[٦٧].

ومن معاني مادة (غطش) الضلال وعدم الاهتداء الى الطريق، فقد جاء في المحيط في اللغة: فلاة غطشى الطريق أي يهدى لها[٦٨]، ومن معانيها الغفلة، والعرب تقول: تغاطش فلان أي تغافل والمتغاطش هو المتعامي عن الشيء[٦٩]، ومن معانيها كذلك العمش أو عدم اتضاح الرؤية[٧٠]، وكلها تشير الى جهل النفس الإنسانية وغفلتها عن الحقيقة المطلقة وهي معرفة الذات المقدسة.

وجعل الليل متعاميا ومتغافلا ولا يكاد يبصر طريقه من طريق الاستعارة في إشارة الى قلب الإنسان الذي حجبته المعاصي عن الولوج الى أفانين العشق الإلهي، ذلك القلب الذي لم يبصر بعد طريق المعرفة الحقة ولم ينسلخ بعد عن غرائزه ورغباته الدنيوية الدنيئة.

ويظهر جليا أن العنصر الحاكم في النص هو الانتقال من السلب الى الإيجاب، ويتمثل هذا الانتقال بالابتداء بعامل مثبّط والانتهاء بعامل محفّز، وعلى النحو الآتي:

أغطش .... أخرج

طغى.......... خاف

الجحيم......... الجنة

وهذا الانتقال ساعد في خلق الأثر النفسي الموجه الذي يرمي من خلاله القرآن الكريم الى غاية تربوية أسمى، وهي ،،تهذيب النفس وتقويم السلوك،، وبنى ذلك في جمل قصيرة مسبوكة تقوم على التوازي أو التقابل التركيبي–الدلالي– النفسي، وكما هو مبين أدناه:

اغطش/ ليلها .... أخرج ضحاها

طغى/ الجحيم .... خاف/ الجنة

فعل/ اسم .... فعل/ اسم (المستوى التركيبي)

فعل/ اسم .... فعل/ اسم

الطمس (موت)/ الظلمة .... بزوغ (ولادة)/ النور (المستوى الدلالي)

الطغيان/ الهلاك .... الخوف/ النعيم

غم/ تشاؤم .... فرح/ تفاؤل

اضطراب (خيبة)/ خسارة (ندم) .... اتزان (زهو)/ فوز (رضا) (المستوى النفسي)

وهذا الأسلوب التعبيري المثالي (المعجز) كان له أبعد الأثر في خلق عنصر التعجيب في نفس المتلقي مما يدفعه دفعا الى التفاعل مع النص لتحقيق الاستجابة المطلوبة.

خامسا/ استعارة اليد للنعمة أو الصدقة في قوله تعالى (يوم ينظر المرء ما قدمت يداه):

فاليد هنا استعارة للنعمة، أي ما تصدق به في حياته وهو رصيده الذي قد ادخر له الى يوم المعاد ليكون درعا له ونجاة من النار، فالصدقة لها أهمية كبيرة على الصعيد الفردي والاجتماعي والديني، فالفرد يشعر من خلال الصدقة بقيمته الإنسانية وأنه شخص إيجابي وفعال في الحياة، وعلى الصعيد الاجتماعي، فالصدقة تنمي في نفوسنا الشعور بالمسؤولية تجاه الآخرين، وتسهم في تحقيق التكافل والعدالة الاجتماعية وان كل فرد في المجتمع هو كيان فاعل ومشترك في بناء مجتمعه والمحافظة عليه[٧١]، وعلى الصعيد الديني فقد أولى الإسلام الصدقات عناية كبيرة، فالصدقة من أفضل الأعمال عند الله وهي تدفع عن المسلم أنواعا من البلاء كما أنها تطهر قلبه وتبعده عن الشح أو البخل وتنمي ماله وتزيد البركة والخير فيه، وقد حث القرآن الكريم في مواضع عديدة على الصدقة، ومنها قوله تعالى (وما تنفقوا من خير يوف إليكم)[٧٢] وقوله (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها)[٧٣] وقوله (يقبل التوبة من عباده ويأخذ الصدقات)[٧٤]، وورد في السنة الشريفة أحاديث كثيرة تعظم شأن الصدقة وتحث المؤمنين على نشر هذه الثقافة الصحية في المجتمع،

ومن ذلك ما رواه الترمذي وغيره عن النبي (ص) قوله: (صدقة السر تطفئ الخطيئة وتطفئ غضب الرب)[٧٥]، وقوله: (ظل المؤمن يوم القيامة صدقته)[٧٦]، وقد جاء في الأثر عن عبد الله بن مسعود قوله: (فضل صلاة الليل على صلاة النهار كفضل صدقة السر على صدقة العلانية)[٧٧]. واستعار اليد للنعمة لأن الإنسان عادة ينفق بيده، والعرب تقول: (له عليك نعمة)[٧٨]. وذهب بعض المفسرين ومنهم ابن الجوزي الى أن اليد هنا مجاز، والمعنى ما قدم من عمل في حياته، وهي من باب إطلاق الجزء وأريد به الكل من طريق المجاز، وخص اليد لكونها عضوا رئيسيا من أعضاء الجسم للقيام بأعمال عديدة، وأراد ما قدم من عمل في الدنيا مطلق العمل، خيره وشره، صالحه وسيئه، وليس العمل فقط بل كل ما صدر من الإنسان من أفعال وأقوال وإشارات ونيات ومعتقدات بل حتى هواجسه ووساوس صدره وأحقاده وضغائنه، يقول: أراد يرى عمله مثبَتاً في صحيفته خيراً كان أو شراً، وفي اليد القُدرةُ والقُوَّةُ على العمل فتُستعارُ اليدُ فتُوضَع موضعها هذا مَجازٌ للعرب يحتملُه هذا الحرف[٧٩]. والخطاب في الآية عام لا يختص بالمؤمنين بل يشمل المؤمن والكافر، كل بحسب عمله وما قدم وأخر من عمل في حياته الدنيا، قال أبو حيان: وقوله (المرء) عام في المؤمن والكافر، أي ما قدم من خير أو شر لقيام الحجة له أو عليه[٨٠]، وأشار الى هذا المعنى أبو الحسن الماوردي في قوله: ينظر المرء الى ما قدم من الخير وينظر الكافر الى ما قدم من الشر[٨١]، وذهب غيرهم الى أن الخطاب خاص بالكافر دون المؤمن[٨٢]. وذكر ابن عاشور أن النظر هنا بمعنى وقوع الجزاء، يقول: عبر بالنظر عن الجزاء لأن الجزاء لا يخلو من ان يكون مرئيا لصاحبه من خير أو شر، وإطلاقه من جهة المجاز المرسل بعلاقة الإطلاق[٨٣].

سادسا/ استعارة وراء الظهر لسوء العاقبة أو النهاية المؤلمة في قوله تعالى (وأما من أوتي كتابه وراء ظهره):

وهذا على تقدير (أعطي صك الهلاك أو كتاب الشؤم) الذي سيثقل كاهله أو ينوء به حملا، وأراد أن حمل الكتاب باليد المغلولة وراء الظهر مدعاة لدخول النار وسوء العاقبة.

وينصرف النص الى الجانب النفسي الذي يفعل فعلا عظيما في ردع النفس وكبح ملذاتها وجرها نحو إعادة النظر وتصحيح المسار، ففي هذه الصورة، أعني صورة المقيد الذي يده (اليسرى) وراء ظهره حاملا كتابه فيها، من الإذلال والتحقير الشيء الكثير ما يجعل الإنسان في أقصى درجات الهوان والشعور بالندم والخسران، وهذا المشهد المروع لا ريب يبقى عالقا في الذهن ليكون دافعا قويا يستلزم منا المراجعة الدائمة والعمل على اجتناب او توقي الوقوع في هذا المنزلق الخطير وأن نعيش هذا المشهد، واقعا لا تخييلا، بتفاصيله المؤلمة وصوره البشعة التي تأنف منها كل نفس سوية عاقلة. كما أن تقييد اليد الأخرى (اليمنى) الى العنق أقرب الى صورة اللجام الذي يوضع على الدابة، وفيه إشارة الى أن الإنسان الضال أو العاصي أسقط عن نفسه صفة الإنسانية وقبل أن يتهاوى الى مرتبة الحيوان لضلاله واتباعه لغرائزه الحيوانية التي دفعت به الى الانسلاخ عن الفطرة السليمة والمرتبة العالية التي وضع الله تعالى بها الإنسان بتكريمه على سائر المخلوقات الأخرى، وهذا التسافل الى مرتبة الحيوان، بل أدنى من ذلك مرتبة مصداقا لقوله تعالى (إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا) يعكس مدى الذل والهوان الذي يشعر به الإنسان الضال أو العاصي حتى يدعو على نفسه بالويل والثبور، وينقل ابن الجوزي عن غيره من المفسرين قولهم: تُغَلُّ يده

KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

اليمنى إلى عنقه وتجعل يده اليسرى وراء ظهره، فيدعو يا ويلاه ويا ثبوراه، وهذا قول كل من وقع في شدة او مهلكة[٨٤]، وقد أشار الى هذا المعنى ابن كثير في قوله: أراد يؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره، تُثْنى يده إلى ورائه ويعطى كتابه بها فيدعو خسارا وهلاكا[٨٥]. وأشار الزمخشري الى أن هذا النوع من التنكيل الشديد جزاء له على تلك الحال التي كان عليها في الدنيا من البطر والترف وعدم التفكير بالعواقب، يقول: لقد كان في الدنيا مترفا بطرا مستبشراً كعادة الفجار الذين لا يهمهم أمر الآخرة ولا يفكرون في العواقب ولم يكن كئيباً حزيناً متفكراً كعادة الصلحاء والمتقين[٨٦]. ولا شك أن هذه الصورة العكسية، أعني صورة وراء الظهر، توحي بالتباعد عن الحق والانحراف عن المسار المستقيم الذي يكون أمام ناظري الإنسان وليس وراء ظهره!، وقد ألمح الى هذا المعنى أبو السعود في قوله: إن الغفلةَ عن ذكر الله تعالى تؤدّي إلى اتباع الهوى المؤدِّي إلى التجاوز والتباعُدِ عن الحق والصواب[٨٧].

سابعا/ استعارة السرائر للصدور أو القلوب في قوله تعالى (يوم تبلى السرائر):

إذ استعار السرائر للصدور، وهي استعارة تصريحية حذف منها المشبه، وهو (الصدور)، والشبه المتحصل بين طرفي الاستعارة هو الإخفاء والتستر، أي تبلى الصدور التي هي أوعية الخفايا والودائع.

والصدر هو الوعاء الذي يخفي الإنسان به مشاعره وأحاسيسه وآلامه وأحزانه وهواجسه وهمومه وسوى ذلك، قال النابغة الذبياني:

وصدرٍ أراح الليل عازب همه   تضاعف فيه الحزن من كل جانبِ[٨٨]

وجاء في لسان العرب: العَيْبَةُ ما يجعل فيه الثياب، وعَيْبةُ الرجل موضعُ سِرِّه، والعربُ تَكني عن الصُّدُور والقُلُوب التي تَحْتوي على الضمائر المُخْفاةِ بالعِيابِ وذلك أَن الرجلَ إِنما يَضَعُ في عَيْبَته أغلى مَتاعِه وأحسن ثيابه ويَكتُم في صَدْرِه أَخَصَّ أَسراره التي لا يُحِبُّ شُيوعَها ولذا سُمِّيت الصدور والقلوبُ عِياباً تشبيهاً لها بعِيابِ الثياب[٨٩].

والسرائر كل ما خفي من العقائد والنيات والأعمال غير المعلنة التي يخفيها صاحبها ولا يظهرها للناس، قال عدي بن الرقاع: (وما بكَ من غَيْبِ السَّرائر يُعْلَمِ)[٩٠]، وجاء في تاج العروس: السرائر جمع سريرة، وهي عمل السر من خير أو شر[٩١]، وقال أبو حيان: والسرائر كل ما أكنته القلوب من العقائد والنيات وما أخفته الجوارح من الأعمال[٩٢].

وابتلاؤها كشفها والاطلاع عليها، أي تفتح الصدور المقفلة يوم القيامة وتفرغ عما في داخلها من النيات وما عملته في خفاء وكل ما تنطوي عليه من الشكوك والوساوس والأغراض التي كانت ترمي إليها من كل ما صدر منها في الدنيا أو ادّخرته في أوعية صدورها، قال ابن الجوزي: أراد تختبر سرائر القلوب، أي الأعمال التي بين العبد وبيت ربه حتى يظهر خيرها من شرها ومؤدِّيها من مضيّعها، فإن الإنسان مستور في الدنيا لا يُدرى فعل أم لم يفعل، فإذا كان يوم القيامة أظهر الله كل سِرٍّ فكان زَيْناً في الوجه أو شَيْناً[٩٣].

وأشار الزمخشري الى أن الحساب والجزاء والمنقلب إنما يكون كل بحسبه أي بما أخفته صدور العباد من نواياهم الحسنة أو السيئة فيكونون تبعا لذلك إما في سعادة أو شقاء، يقول: أراد نفرق حال النفوس بمعرفة حال عملها إن كان حسناً فهي سعيدة وإن كان سيئاً فهي شقية[٩٤]

ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

وفي النص بيان لرحمة الله ولطفه بعباده، العالم بكل شيء ما خفي وما ظهر، والمطلع على سرائر العباد ولم يفضحهم بها في الدنيا ولم يطلع ملائكته وكتابه عليها، واليوم يطلعكم بها ويحاسبكم عليها إظهارا لفضله وتحقيقا لعدله، وقد أشار الى هذا المعنى الثعلبي بقوله: هذا قول الله يوم القيامة اليوم تكشف السرائر وتخرج الضمائر وأنا مطّلع على سرائركم مالم يعلمه كتابي ولم يكتبوه فأنا أخبركم بذلك وأحاسبكم عليه[٩٥].

كما فيه إشارة الى أن الإنسان يقبل منه ظاهر عمله في الدنيا ولكنه يجازى ويحاسب يوم القيامة على النوايا والبواطن، يقول أبو السعود: وفي يوم القيامة يُتعرفُ ويُتصفحُ ما أسرتهَ القلوبِ من العقائدِ والنياتِ وما أخفته من الأعمالِ ويُميزُ بين ما طابَ منها وما خبُثَ[٩٦].

نتائج البحث:

توصل البحث الى ما يأتي:

١–لقد كان منهج المؤلف في تفسيره منهجا تقليديا موافقا لمنهج من سبقه وعاصره من علماء التفسير في الإشارة الى أسباب النزول وإيراد القراءات القرآنية وعرض المسائل النحوية واللغوية ونقل الآراء التفسيرية للعلماء والمفسرين السابقين والمعاصرين، وقد يتبع ذلك بما يراه هو أو يميل إليه أو يرجحه على غيره من الآراء.

٢–يتلخص موقف من التشبيه، في نصوص عينة البحث، أنه يكتفي فقط ببيان وجه الشبه بين طرفي التشبيه، كما في قوله (فالمعنى جعلهم كَوَرَقِ الزَّرْعِ الذي جَفَّ وأُكل أي وقع فيه الأُكال)، وقوله (المرصاد هو المكان الذي يَرصُد فيه الراصد العدُوَّ أي هي مُعَدَّةٌ لهم يَرصُد بها خزنتها الكفارَ)، وقوله (كأنهم يعني

كفار قريش يوم يعاينون القيامة لم يلبثوا في الدنيا أو في قبورهم إلا قَدْر آخر النهار من بعد العصر أو أوله إلى أن ترتفع الشمس)، أو بيان سبب التشبيه كما في قوله (شبه الجبال بالصوف في خِفَّتِها وسَيْرِها لأنه قد نقل أنها تسير على صورها وهي كالهباء)، وقوله (شبه الناس في وقت البعث بالبعوض أو بصغار البق أو بالجراد لأنهم إذا بعثوا ماج بعضهم في بعض).

٣-يتلخص موقفه من الاستعارة في بيان العلاقة بين طرفي الاستعارة المستعار منه والمستعار له، كعلاقة المشابهة، كما في قوله (لباسا أي ساتراً بظلمته لأن ظلمته تغشى الأشخاص وتَشتمل عليها اشتمال اللباس على لابسه)، وقوله (شبّهت السحاب بمعاصير الجواري، والمُعصِرُ الجارية التي قد دنت من الحيض)، أو علاقة السببية كما في قوله (قيل لبني إسرائيل استريحوا في هذا اليوم ولا تعملوا فيه شيئا فسمِي يوم السبت أي يوم الراحة، وأصل السبت التَّمدُّد ومن تمدَّد استراح)، أو علاقة المسببية كما في قوله (غطش الليل وأغطش بمعنى أظلم، وأخرج ضحاها أي أظهر نورها بالشمس)، أو علاقة الجزئية كما في قوله (أي يرى عمله مثبَتاً في صحيفته خيراً كان أو شراً، وفي اليد القُدرةُ والقُوَّةُ على العمل فتُستعارُ اليدُ فتُوضَع موضعها هذا مَجازٌ للعرب يحتملُه هذا الحرف)، أو علاقة المحلية كما في قوله (تختبر سرائر القلوب، أي الأعمال التي بين العبد وبيت ربه حتى يظهر خيرها من شرها ومؤدِّيها من مضيِّعها، فإن الإنسان مستور في الدنيا لا يُدرى فعل أم لم يفعل، فإذا كان يوم القيامة أظهر الله كل سِرٍّ فكان زَيْناً في الوجه أو شَيْناً)، أو بيان سبب الاستعارة كما في قوله (تُغَلُّ يده اليمنى إلى عنقه وتجعل يده اليسرى وراء ظهره).

٤-تكرر أسلوب التنبيه في القرآن الكريم في نصوص كثيرة، ومنها نصوص عينة البحث، لأمر عظيم وهو وقوع القيامة، إذ ينبغي أن يكون حاضرا في ذهن الإنسان ومتجسدا في أفعاله وتصرفاته، بل يكون ماثلا أمام عينيه دائما وأبدا لردعه عن ارتكاب المعاصي أو فعل الآثام أو الانسلاخ عن منظومة القيم المتمثلة في الفطرة السليمة التي خلق الله سبحانه الإنسان عليها.

٥-إن الأسلوب التعبيري المثالي (المعجز) للقرآن الكريم، وبخاصة في تشكيل الاستعارة القرآنية، في نصوص عينة البحث، كان له أبعد الأثر في خلق عنصر التعجيب في نفس المتلقي، وهو ما يدفعه دفعا الى التفاعل مع النص لتحقيق الاستجابة المطلوبة.

٦-ومن التقنيات التي استعملها القرآن الكريم، في نصوص عينة البحث، تقنية الانتقال من السلب الى الإيجاب، وهذا الانتقال يساعد في خلق الأثر النفسي الموجه الذي يرمي من خلاله القرآن الكريم الى غاية تربوية أسمى وهي ،،تهذيب النفس وتقويم السلوك،، وقد بنى ذلك في جمل قصيرة مسبوكة تقوم على التوازي أو التقابل التركيبي-الدلالي- النفسي.

٧-اشتغل النص القرآني في مواطن عديدة، ومنها نصوص عينة البحث، على تقنية التضاد، إذ يستدعي ثنائيات عديدة يشكل منها استعاراته، كالخير والشر والحق والباطل والحضور والغياب والسماء والأرض والليل والنهار والهدى والضلال والجنة والنار والمؤمن والكافر والعتمة والنور والسكون والحركة والتخفي والتجلي والسلب والإيجاب والتوقف والانطلاق والإطفاء والتشغيل والتجميد والتفعيل والهدوء والضوضاء والموت والحياة... لفتح آفاق أو مدارك أو تولد أفكار جديدة لاستحضار المعنى في ذهن المتلقي.

٨-إن أسلوب التحول الكلي الخاطف من أقصى اليمين الى أقصى الشمال الذي اعتمده القرآن الكريم، في نصوص عينة البحث، في وصف بعض المشاهد والأحداث، ومنها أحداث يوم القيامة، والذي تتجسد فيه هول الصدمة وشدة وقع الحدث على النفس مما يؤدي الى انعدام التوازن وخلخلة البناء النفسي وانفراط عقده، يعدُّ من الأساليب التربوية الهادفة الى تهذيب وتقويم النفس الإنسانية من خلال الحث على إعادة النظر والعودة الى المسار الصحيح والانتباه سريعا من الغفلة في لحظة فارقة ربما لا تتكرر لجهل الإنسان بلحظة الرحيل وحلول الأجل، إن هذا الانزلاق الخطير والتسافلية القصوى مدعاة للعظة والعبرة وتصحيح المسار وإحداث التغيير المقصود في السلوك.

٩-من الأساليب التي وظفها القرآن الكريم للتحذير والردع والاعتبار أسلوب التحول من القوة الى الضعف، وهي تقنية حرص القرآن على توظيفها بشكل متكرر في موضوعات عدة وفي آيات وسور عديدة، ومنه نصوص عينة البحث، ومن أمثلة ذلك تشبيه شيء في نهاية الصلابة، وهو الجبل، بشيء في نهاية الضعف، وهو الصوف المبعثر، وهي صورة متفردة تكشف بلاغة النص القرآني وسحر بيانه وتصويره وإعجازه وتفرده في أسلوب التعبير عن المعاني، وتبرز فيها بشكل جلي ثيمة التحول أو الانتقال من أعلى نقطة للشموخ والعظمة الى أدنى نقطة من الذل والضعف والدنو والضعة، ومن قيمة مركزية عليا الى وضعية هامشية دنيا، وهذا التحول الذي جسَّدته تلك الثيمة أو ذلك المشهد يدفع الإنسان الى إعادة التقييم ورفع الغشاوة وتبديد الشبهات وتنقية الروح وتصفية النفس وتطهيرها من الأدران والشوائب والملوثات والمؤثرات وكل ما يحول دون تحقيق التماهي والانصهار مع الذات المقدسة وإخلاص العبودية لله عز وجل.

١٠-حرص القرآن الكريم، في نصوص عينة البحث، على تصوير ما يقع للإنسان من الوهم والتخيل في لحظة فارقة من لحظات القيامة، لحظة الوقوف بين يديه ربه للحساب أو لحظة النشر من قبره رثا مغبرا كالحا زائغ البصر والسوق عاريا ذليلا كئيبا مذهولا منكس الرأس، وإذا به في تلك اللحظة ومن شدة الهول يرى مشاهد عظيمة وأمورا عجيبة، كرؤيته الجبل الصوف" أو "الصوف الجبل" فيظنه جبلا فإذا مسه لم يجده شيئا، وكأنه أبصر بطرفه سرابا لا جبالا، وفي الحقيقة لا رؤية هناك ولا مس، وإنما هو أسلوب تخييلي لبيان قدرة الله التي تتجلى في ذلك الموقف الرهيب والتي يقف إزاءها الذهن مذهولا حائرا لا يجد بدا من الإقرار والانقياد والتسليم، ولهذا الأسلوب أبعد الأثر-كما لا يخفى- في إحداث التأثير الانفعالي في نفس المتلقي لتحقيق الاستجابة المطلوبة.

١١-استخدم القرآن الكريم في نصوص عديدة، ومنها نصوص عينة البحث، أسلوب التخويف للردع وإعادة النظر في السلوك، ومتى ما وجد الإنسان أنه في مرمى خصمه او عدوه غيَّر من تفكيره وخططه وأعاد ترتيب أوراقه، ومن هنا جاء تصوير جهنم بأنها أشبه بآلة الرصد، فكما أن المنظار يراقب الأشياء ويدقق فيها ملما بتفاصيلها ودقائقها كذلك جهنم تترقب الكفار ولا تنفك عنهم كالمطلع على شيء بالإحاطة والشمول لم يفته جزء من أجزائه ولم يغب عنه أمر من أموره، وهذا يفعل فعله في إحداث التغيير المنشود.

١٢-عنى القرآن الكريم بالجانب النفسي في مواطن كثيرة، ومنها نصوص عينة البحث، والذي يفعل فعلا عظيما في ردع النفس وكبح ملذاتها وجرها نحو إعادة النظر وتصحيح المسار، ومن المعاني اللطيفة المبتكرة التي جاء بها في هذا الصدد دعاء الإنسان على نفسه بالويل والثبور، المتمثل في عبارة (يا ويلنا) التي

وردت في آيات عديدة، وهو ذات بعد نفسي كبير، وتتجسد فلسفة هذا الدعاء في أن الإنسان الضال أو العاصي أسقط عن نفسه صفة الإنسانية وقبل أن يتهاوى الى مرتبة الحيوان لضلاله واتباعه لغرائزه الحيوانية التي دفعت به الى الانسلاخ عن الفطرة السليمة والمرتبة العالية التي وضع الله تعالى بها الإنسان بتكريمه على سائر المخلوقات الأخرى، وهذا التسافل الى مرتبة الحيوان، بل أدنى من ذلك مرتبة، يعكس مدى الذل والهوان الذي يشعر به الإنسان الضال حتى يدعو على نفسه بالويل والثبور.

١٣-من الصيغ التي تكرر استعمالها في القرآن الكريم، في نصوص عينة البحث، صيغة (ما أدراك)، وقد وجدنا أن هذا الأسلوب التعبيري في كل استعمالاته القرآنية يفيد معنى التجهيل، والذي يعقبه توضيح وتفصيل، وهو يبعث رسالة في إطار من الترميز أو التشفير مفادها أنك أيها الإنسان أقل شأنا من أن تحيط علما بالغيبيات والعلوم المستقبلية والحوادث العظيمة التي لم تقع بعد، لأن الله تعالى خصَّ بها ذاته المقدسة وادخرها في مكنون علمه، وأطلع أصفياءه وخاصته من عباده على بعض منها بقدر ما يقتضيه المقام وتتسع له العقول.

١٤-إن الشعور بالخيبة لعدم الانتفاع بنعمة الحياة بتجسد بأعلى مستوى، في نصوص عينة البحث، في ذهن ذلك الإنسان الغافل لحظة ظهور حقيقة أن الإنسان ذاهب الى عالم آخر غير العالم الذي ألفه وعاش حياته فيه، عالم جديد مختلف لم يعشه وإنما كان يسمع عنه ويخبر به، ولا بد له أن يواجه هذا المصير الذي كان يحاول جاهدا أن يتخفى منه أو يتناساه، ومتى ما حانت الساعة وصار ذلك واقعا وأمرا محتوما

KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

مفروغا منه عاد ذلك الإنسان المشكك أو المعاند أو الغافل الى وعيه وتيقنَّ أنه قادم للقاء ربه وأنه سوف يحاسب على أفعاله خيرها وشرها.

١٥–ربما تمرض النفوس أو تتقاعس فتتراجع المنظومة القيمية لدى الإنسان أو يقل منسوبها لكنها قابلة للتحديث وإعادة البرمجة من خلال التذكير والتدبر وإعادة النظر ومحاسبة النفس على تقصيرها وجهلها وانحرافها عن الصراط المستقيم، والخضوع الكامل لحكمه تعالى وإرادته والانقياد لأوامره والتوجه إليه وحده بالعبودية والتسليم والطاعة، وهذا ما أكدت عليه نصوص عينة البحث.

الهوامش:

---

١ ظ: الخلاصة في علوم البلاغة: ٣٥/١

٢ ظ: الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية: ١٩٣

٣ ظ: زاد المسير/ ١٢١/٦

٤ ظ: الدر المنثور: ١٠/ ١٩٥

٥ ظ: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ١٠٨٧/١ والجامع لأحكام القرآن: ١٩/ ١٨٢

٦ ظ: تفسير البحر المحيط: ٧/ ٤٢١ و١٠/ ٤٣٣

٧ سورة الأنعام/ ٢٧

٨ سورة الشورى/ ٤٤

٩ ظ: أضواء البيان:٥/ ٣٧٥

١٠ ظ: التحرير والتنوير: ٦/ ٤٩٣

١١ ظ: زاد المسير/ ١١٣/٦

١٢ ظ: التبيان في تفسير القرآن: ٤٦٢/١

١٣ ظ: النكت والعيون: ٣٧٣/٤

١٤ ظ: الدر المنثور : ١٠/ ١٨٢

١٥ ظ: مفاتيح الغيب: ١٦/ ٢٩٤

١٦ ظ: زاد المسير : ١٨٦/٦

١٧ ظ: تفسير البحر المحيط: ١١/ ١٦

١٨ ظ: النكت والعيون: ٤٤٨١٨/٤

١٩ ظ: الكشاف: ٦/ ٤٧٧

٢٠ ظ: التسهيل لعلوم التنزيل: ٣٥٥/٣

٢١ ظ: الكشاف: ٤٤٨/٤

٢٢ ظ: الجامع لأحكام القرآن: ٢٠/ ١٨٣

٢٣ ظ: النكت والعيون: ٢٠٧/٤

٢٤ ظ: تفسير القرآن العظيم: ٤١٢/٥

٢٥ ظ: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ١١٤١/١

٢٦ ظ: التسهيل لعلوم التنزيل: ٣٦١/٣

٢٧ ظ: زاد المسير : ٦/ ١٩٢

٢٨ ظ: أضرار الخوف على الجسم، ميس عبد الرؤوف https:// mawdoo3.com

٢٩ ظ: زاد المسير : ٣٦٧/٣

٣٠ سورة النساء/ ٤٩

٣١ ظ: تفسير البحر المحيط: ١٦٢/٤والتسهيل لعلوم التنزيل: ١١٤/٢

٣٢ ظ: النكت والعيون: ٤٤٨/٤

٣٣ ظ: الكشاف:٧/ ١٤١

٣٤ ظ: التسهيل لعلوم التنزيل: ٣/ ٣٥٥

٣٥ ومن هذه النصوص قوله تعالى (ومن نعمره ننكسه في الخلق) يس /٦٨ وقوله (يمحق الله الربا ويربي الصدقات) البقرة/٢٦٢ وقوله (ثم جعل من بعد قوة ضعفا) الروم/٥٤ وقوله (تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى) الحشر/ ١٤ وقوله (كلما خبت زدناهم سعيرا) الإسراء/ ٩٧ وغيرها.

٣٦ ظ: تفسير البحر المحيط: ٤٥٢/١٠ وتفسير القرآن العظيم: ٢٩٧/٨ والدر المنثور: ١٠/ ٢٢٣ والتسهيل لعلوم التنزيل: ٢/ ٢٨٦ والنكت والعيون: ٢٨٦/٤

٣٧ ظ: النكت والعيون:٤/ ٤٤٨ ومفاتيح الغيب: ١٧/ ١٧٦ ولسان العرب/ مادة (قرع)

٣٨ ظ: تهذيب اللغة: ١/ ٢٨٧ وأضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن:٩/ ٢٧٧

٣٩ سورة الرعد، ٣١

٤٠ ظ: الجامع لأحكام القرآن: ٢٠/ ١٥٢ والدر المنثور: ١٧/٦ والنكت والعيون: ٣١٤/٢

٤١ ظ: الكشاف: ١٣٠/٧ والتسهيل لعلوم التنزيل: ٣٥٥/٣

٤٢ ظ: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ٥٠/٧

٤٣ ظ: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ١١٣٦/١ والنكت والعيون:٤/ ٤٨٤

٤٤ ظ: المحرر الوجيز: ٥٦/٧ والتسهيل لعلوم التنزيل:٣٥٥/٣

٤٥ ظ: تفسير القرآن العظيم: ٨/ ٤٦٨ وتحرير التحبير:١/ ٧٤

٤٦ ظ: تفسير البحر المحيط:١١/ ١٦

٤٧ ظ: خزانة الأدب: ١/ ٣٦١

٤٨ ومن هذه النصوص قوله تعالى (وما أدراك ما الحاقة) وقوله (وما أدراك ما العقبة) وقوله (وما أدراك ما سقر) وقوله (وما أدراك ما ليلة القدر) وقوله (وما أدراك ما سجين) وقوله (وما أدراك ما الطارق) وقوله (وما أدراك ما عليون) وغيرها.

٤٩ ظ: تفسير أبي السعود: ٥٠/٧

٥٠ في إشارة الى قوله تعالى (وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذل يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ) الشورى/ ٤٥

٥١ ظ: زاد المسير : ١٨٦/٦

٥٢ ظ: تفسير البحر المحيط: ١١/ ١٦

٥٣ ظ: البديع في نقد الشعر: ١/ ٧

٥٤ ظ: الخلاصة في علوم البلاغة: ١/ ٤٢

٥٥ ظ: أسرار البلاغة :٣٣.

٥٦ ظ: فلسفة البلاغة: ١٠٧

٥٧ ظ: زاد المسير/٤/٤٧٧و ١١٢/٦

٥٨ ظ: النكت والعيون: ٢/ ٢٠٣

٥٩ ظ: تفسير ابن كثير: ١١٤/٦

٦٠ ظ: زاد المسير/٤/٤٧٧و ١١٢/٦

٦١ ظ: زاد المسير/ ١١٣/٦

٦٢ ظ: الجامع لأحكام القرآن: ١٩/ ١٥٢

٦٣ ظ: الكشف والبيان:١٣/ ٤٧٩

ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

٦٤ ظ: التسهيل لعلوم التنزيل: ٢٧٢/٣

٦٥ ظ: زاد المسير: ١٢٠/٦

٦٦ ظ: التحرير والتنوير:١٦/ ٤٣٤

٦٧ ظ: إرشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم: ٤٥٢/٦

٦٨ المحيط في اللغة: ١٩٢/١

٦٩ ظ: القاموس المحيط: ١٤٤/٢ والصحاح في اللغة: ٢١/٢

٧٠ ظ: لسان العرب، مادة (غطش).

٧١ ظ: الصدقة وفضلها على الفرد والمجتمع https:bonyan.ngo.ar

٧٢ سورة البقرة/ ٢٧٢

٧٣ سورة التوبة/ ١٠٣

٧٤ سورة التوبة/ ١٠٤

٧٥ جامع العلوم: ٣١/ ١٢ والشرح الكبير: ٢/ ٢٣٣ وفيض القدير: ٤٥٦/٢

٧٦ مشكاة المصابيح: ٧١٥/٦ وبيان مشكل الآثار: ٢٣٩/٩

٧٧ ظ: الاستذكار:٢/ ٨٢ والكتاب المصنف في الحديث والآثار: ٦/٩

٧٨ الأمالي الشجرية ١/ ٣٥٩

٧٩ ظ: زاد المسير:٥/ ٢٠٠ و ١١٦/٦

٨٠ ظ: تفسير البحر المحيط: ١/ ٤٣٤

٨١ ظ: النكت والعيون: ٤/ ٣٧٦

٨٢ ظ: الكشاف: ٧/ ٤٢٤

KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

٨٣ ظ: التحرير والتنوير: ١٦/ ٦٢

٨٤ ظ: زاد المسير:١٣٨/٦

٨٥ ظ: تفسير القرآن العظيم: ٣٥٨/٨

٨٦ ظ: الكشاف: ٢٦٠/٧

٨٧ ظ: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ٢٥٦/٤

٨٨ الأغاني: ١٨٥/٣ ومحاضرات الأدباء: ٣٦٦/١

٨٩ ظ: لسان العرب/ مادة (عيب)

٩٠ ظ: جميع دواوين الشعر العربي: ٣٦٩/٣٣

٩١ ظ: تاج العروس/ مادة (سرر)

٩٢ ظ: تفسير البحر المحيط: ١٠/ ٤٦٤ والتسهيل لعلوم التنزيل: ٣/ ٣٠٩

٩٣ ظ: زاد المسير: ١٤٦/٦

٩٤ ظ: الكشاف: ١٤/٢

٩٥ ظ: الكشف والبيان: ٢/ ١٥٢

٩٦ ظ: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ٤٩٧/٦